عن مزية في المعنى .

وجملة الأمْرِ أنّـَا لا نوجِبُ الفصاحةَ للفظةٍ مقطوعةٍ مرفوعة من الكلامِ الذي هي فيه ولكنّـَا نوجبُها لها موصولةً بغيرها ومعلّـَقاً معناها بمعنى ما يليها . فإِذا قلنا في لفظةِ " اشتعل " من قولهِ تعالى : (واشْتَعَلَ الرّـَأْسُ شَيْباً) : إِنها في أعلى المرتبة من الفصاحةِ لم نوجِبْ تلك الفصاحةَ لها وحدها ولكن موصولاً بها الرأسُ معرّـَفاً بالألف واللام ومروناً إِليها الشّـَيْبُ منكّـَراً منصوباً .

هذا وإِنما يقعُ ذلك في الوَهْم لمن يَقَعُ له أعني أن تُوجبَ الفصاحة للفظة وحدَها فيما كان استعارةً . فأما ما خلا منَ الاستعارة من الكلام الفصيح البليغِ فلا يعرِضُ توهّـُمُ ذلك فيه لعاقلٍ أصلاً . أفلا تَرى أنه لا يقعُ في نفسِ مَن يعقِل أدنى شيءٍ إِذا هو نظرَ إِلى قولهِ عزّـَ وجلّـَ : (يَحسَبونَ كلّـَ صَيحةٍ عَلَيْهم هُمُ العَدوّـُ فَاحْذَرهُمْ) . وإلى إِكبارِ الناس شأنَ هذه الآية في الفصاحة أن يضعَ يدَه على كلمةٍ كلمةٍ منها فيقولُ : إِنها فصيحة كيف وسببُ الفصاحة فيها أمورٌ لا يشكّـُ عاقلٌ في أنها معنوية : .

أوّـَلُها : أن كانت " على " فيها متعلقةً بمحذوف في موضع المفعولِ الثاني . والثاني : أن كانت الجملةُ التي هي " هم العدوّـُ " بعدها عاريةً من حرف عطف . والثالث : التعريفُ في العدوّ وأنْ لم يقل : هم عدوٌّ . ولو أنك علّـَقتَ " على " بظاهر وأدخلتَ على الجملة التي هيَ " هم العدوّـُ " حرفَ عطف وأسقطتَ الألف واللام من العدوّ فقلت : يحسَبون كلّـَ صيحة واقعةً عليهم وهم عدو لرأيتَ الفصاحةَ قد ذهبتْ عنها بأسرها . ولو أنك أخطرتَ ببالك أن يكونَ " عليهم " متعلّـِقاً بنفس الصّـَيحة ويكون حالهُ معها كحاله إِذا قلتَ : صِحْتُ عليه لأخرجتَه عن أن يكونَ كلاماً فضلاً عن أن يكونَ فصيحاً . وهذا هو الفَيْصلُ لمن عَقَل .

ومن العجيبِ في هذا ما رُويَ عن أمير المؤمنين عليّ ٍ رضوانُ ا عليه أنه قال : ما سمعتُ كلمة عربيةً منَ العرب إِلا وسمعتُها من رسولِ ا . وسمعتُه يقول : " مات حَتْفَ